أشراط الساعة الكبرى

خروج المهدي

الحمد لله جامع الخلق ليوم لا ريب فيه، قال تعالى﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾[الحج:7]، اختص نفسه سبحانه بعلم موعد الساعة فقال:﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ﴾ [الأعراف:187]والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً ومبشراً ونذيراً، مبشرًا لمن آمن بالنعيم المقيم، ومنذراً لمن كفر وعصى بالعذاب الأليم

أما بعد .....: إنَّ من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل بين يدي الساعة أمارات وعلامات، أخبرنا بها رسوله - صلى الله عليه وسلم - ليكون المسلم دائماً وأبداً على حذر، ويوقن بالرحيل من هذه الدنيا والحساب والجزاء، فالموت يأتي بغتة، يقول ابن عمر - رضي الله عنه -: أَخَذَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بمَنْكِبِي، فَقَالَ: (كُنْ في الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ) وكانَ ابنُ عُمَرَ، يقولُ: (إذَا أمْسَيْتَ فلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ فلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، ومِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) رواه البخاري، فالمسلم يعيش بين الرجاء والخوف، ولا يركن إلى دار الغرور، فيتقي الله في كل أفعاله وأقواله.

والغاية حبيباتي الغاليات من إخفاء أمر الساعة حث المؤمنين على مراقبة أعمالهم، ومحاسبة أنفسهم استعداداً لذلك اليوم، فكلما ظهرت آية من الآيات راجع المؤمن نفسه وخشي أن يكون زمانه آخر الأزمان، ويتذكر الآخرة وانتهاء الدنيا وفنائها، ويتذكر فجأة مفارقته لهذه الدنيا بالموت.

ثم ما الذي يجعل الإنسان منا في مأمن وهو لا يدري؟ فقد يموت قبل ظهور العلامة القادمة، فالموت يأتي بغتة، والاستعداد ينبغي أن يكون دوماً وأبدًا ما دمت تؤمن بأن هناك يومًا آخر سيُحاسَب فيه الخلائق؛ ليدفعك ذلك لمزيد من التقوى والعمل الصالح.

ألا وإنَّ من علامات الإيمان الصادق الانقيادَ والطاعةَ المطلقة والتصديقَ الجازم بكل ما جاء به النبي -صلى الله عليه وسلم -، حتى وإن عجزتْ العقول عن تصوره، فإن العيب والقصور في العقول، أما الخبر الصحيح الصريح فهو متحقق لا محالة كما أخبر الرسول -صلى الله عليه وسلم.-

أخواتي الكريمات كنا قد بدأنا في اللقاءات الماضية بسلسلة علامات الساعة، وخلاصة ما ذكرناه: أن أشراط الساعة وأماراتِها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول :علامات ظهرت وانقضت، بَدَأ ت ببعثة النبي -صلى الله عليه وسلم -ووفاته؛ ومنها فتْح بيت المقدس، وطاعون (عمواس)، وظهور نار عظيمة في الحجاز.

والقسم الثاني :علامات ظهرت ولم تنقضِ بل لا تزال في زيادة، ومنها: إضاعة الأمانة، وقبضُ العلم ورفعُه بقبض العلماء، وكذلك كثرة شهادة الزور وكتمانُ شهادة الحق، واستفاضة المال، وظهور الكاسيات العاريات، ومنها تقارب الزمان، وكثرة القتل وتمني الموت من شدة البلاء.... الخ

ونبدأ اليوم مع القسم الثالث :العلامات الكبرى ذات الأحداث الكبرى الجسيمة وهي قريبة من حدوث الساعة؛ إذ على إثرها تقوم الساعة، فأشراط الساعة الكبرى تكون بوابة الساعة الرئيسة، وهي تقع متسلسلة ومتقاربة؛ كحبات العقد، إذا انفرطت حبة تكون الباقي وراءها، وسيكون حديثنا اليوم عن علامة واحدة هي من أوائل هذه العلامات؛ كما تدل عليه الأحاديث الصحيحة.

أولًا: ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى:

قال عبد الله بن يوسف الوابل: لم أجد نصًا صريحًا يبين ترتيب أشراط السَّاعة الكبرى حسب وقوعها، وإنما جاء ذكرها في الأحاديث مجتمعة بدون ترتيب، إذ كان ترتيبها في الذكر لا يقتضي ترتيبها في الوقوع، فقد جاء العطف فيها بالواو، وذلك لا يقتضي الترتيب.

وسوف نبدأ بذكر بعض أحاديث أشراط الساعة الكبرى:

1-روى الإمام مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري τ؛ قال: اطَّلَع النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم علينا ونحن نتَذاكَرُ فقال ما تَذكُرونَ قالوا نَذكُرُ الساعةَ قال إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ فذَكَر

الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمسِ من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم ويأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمشرِقِ وخَسفٌ بالمغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم ". صحيح مسلم.

عن أبي هريرة τ قال: قال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (بادِرُوا بالأعْمالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبِها، أوِ الدُّخانَ، أوِ الدَّجَّالَ، أوِ الدَّابَّةَ، أوْ خاصَّةَ أحَدِكُمْ، أوْ أمْرَ العامَّةِ) صحيح مسلم.

✉شرح بعض ألفاظ الحديث: خاصَّة أَحدِكم، أي: ما يَخصُّه مِنَ الموتِ الَّذي يَمنعُه منَ العَملِ، أو هيَ ما يَختصُّ به الإِنسانُ منَ الشَّواغلِ المتعلِّقةِ في نَفسِه ومالِه، وما يهتَمُّ به أو أمرِ العامَّةِ يَعني القِيامَةَ؛ لأَنَّها تَعُمُّ النَّاسَ جميعًا بالموتِ، يَقولُ: فبادِروا الموتَ والقِيامَةَ بالأَعمالِ الصَّالحةِ. الدرر السنية

ثانيًا: تتابع ظهور الأشراط الكبرى:

إذا ظهر أول علامات السَّاعة الكبرى؛ تتابعت الآيات كتتابع الخرز في النظام، يتبع بعضها بعضًا.

عن أبي هريرة τ عن النبي ρ؛ قال (خُروجُ الآياتِ بعضُـــها على إِثْرِ بعضٍ، يَتَتَابَعْنَ كما تَتَابَعُ الخَرَزُ في النِّظامِ) صحيح الجامع

عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ρ: (الآياتُ خرَزاتٌ مَنظوماتٌ في سِلكٍ، فإن يُقطَعِ السِّلكُ يتبَعْ بعضُها بعضًا) السلسة الصحيحة

قال عبد الله بن يوســف الوابل: والذي يظهر لي – والله أعلم – أن المراد بهذه الآيات هي علامات السَّاعة الكبرى؛ فإن ظاهر هذه الأحاديث يدلُّ على تقارب ظهورها تقاربًا شديدًا.

وقال حفظه الله: بعض هذه العلامات تظهر في زمن متقارب؛ فإن أول العلامات الكبرى بعد المهدي ظهور الدجال، ثم نزول عيســى υ لقتله، ثم ظهور يأجوج ومأجوج، ودعاء عيســى υ عليهم، فيهلكهم لله، ثم قال عيســى υ: ، (ففيمَ عَهِدَ إليَّ ربي عزَّ وجلَّ أنَّ ذلكَ إذا كان كذلكَ فإنَّ الســاعةَ كالحاملِ المتِمِّ التي لا يدري أهلُها متى تَفْجَؤُهمْ بولادِهَا ليلًا أو نهارًا) مسند الإمام أحمد"

✉ومنهجنا في عرض أشراط الساعة هو المنهج الموافق للقرآن والسنة ولعلماء السلف، وهو المنهج الذي يعتمد على الأحاديث الثابتة عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، وتجنب الأحاديث الموضوعة والضعيفة في أخبار الساعة؛ لأن أشراط الساعة هي من الغيبيات، والغيبيات لا بد فيها من النقل الثابت، حتى لا يدخل في اعتقادنا الأساطير والخرافات والأوهام، بل تبقى نقية كما جاء بها الوحي. الخطباء

خروج المَهدِي:

في آخر الزمان يخرج رجل من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين، يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط؛ تخرج الأرض نباتها، وتمطر الســماء قطرها، ويعطى المال بغير عدد.

إن النبي ﷺ سمى هذا الخليفة الذي سيكون في آخر الزمان مهديًا، وبشر به، وهذا المهدي الذي بشر به النبي ﷺ يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويبايعه المسلمون، ويكون من آل البيت النبوي، ويخرج في زمنه الدجال، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام ويصلي مأمومًا خلفه، فمن هو الإمام؟ المهدي، وعيسى مأموم وراء المهدي مع أن عيسى نبي لماذا فكروا بالإجابة إلى أن نصل إليها بعد قليل؟

قال ابن كثير رحمه الله: "في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم".

اسمه وصفته:

وهذا الرجل اسمه كاسم رسول الله ρ، واسم أبيه كاسم أبي النبي ρ، فيكون اسمه محمد – أو أحمد–بن عبد الله، وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ρ، ثم من ولد الحسن بن علي ψ.

وقال ابن كثير في المهدي: هو "محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني ψ "، فقال رحمه الله: "وهو محمد بن عبد الله العلوي" نسبة إلى علي، الفاطمي نسبة إلى فاطمة، الحسني نسبة إلى الحسن ψ.

[النهاية في الفتن والملاحم: 17/1].

وأشار بعض العلماء كابن القيم رحمه الله قال: "كونه من نسل الحسن فيه فائدة لطيفة"، وسر بديع، "وهو أن الحسن ψ ترك الخلافة لله"، الحسن لما صار النزاع مع معاوية ψ تنازل الحسن بن علي لله؛ مع أنه أولى بالخلافة؛ لكن تنازل لله؛ لتحقن الدماء؛ ويجتمع المسلمون؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام أشار إليه: "وإنَّ ابْنِي هذا سَيِّدٌ ولَعَلَّ اللَّهَ أنْ يُصْلِحَ به بيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المسْلِمِينَ" [رواه البخاري: 2704]، فتنازل الحسن لله مع أنه بويع للخلافة بعد مقتل أبيه، لكنه تنازل لله، قال ابن القيم: "ترك الخلافة لله، فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الأرض، وهذه سنة الله في عباده، أنه من ترك لأجله شيئًا أعطاه الله أو أعطى ذريته أفضل منه"، فهذا من اللطائف التي تذكر في مناسبة كونه من ولد الحسن بن علي، وليس من ولد الحسين لأن الحسين قام بالمطالبة بالخلافة، ولكنه لم يكتب له أن تكون الخلافة له، وقتل ψ، لكن كان موقف الحسن أحسن في هذا الأمر.

وعن ابن عباس بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي). صحيح أبي داود

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو لم يبقَ منَ الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللَّهُ ذلِكَ اليومَ حتَّى يَبعثَ فيهِ رجلًا منِّي –أو من أَهْلِ بيتي –يواطئُ اسمُهُ اسمي، واسمُ أبيهِ اسمُ أبي يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، كما ملئت ظُلمًا وجَورًا) صحيح أبي داود

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْتَلِئَ الأَرْضُ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ عِتْرَتِي أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا" رواه أحمد.

وقوله: من عترتي عترة الرجل أخص أقاربه، وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريته، وعقبه من صلبه، فعترة النبي ﷺ ولد فاطمة [تهذيب اللغة للأزهري: 242/1].

⇦صفته:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجْلَى الْجَبْهَةِ أَقْنَى الْأَنْفِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ) صحيح أبي داود.

قال الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي: الأجلى: «الذي قد انحسر الشعر عن جبهته الى نصف رأسه».

قال ابن الأثير في النهاية: أقنى الأنف: «القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه» (وليس أفطس الأنف).

مكان خروجه:

يكون ظهور المهدي من قبل المشرق، فقد جاء في الحديث عن ثوبان رضي الله عنه قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ – ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ – فَقَالَ : فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ) رواه ابن ماجه في " السنن.

قال ابن كثير رحمه الله: (والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامرا، كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان)، وقال أيضاً: (ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سود أيضاً، وهو زي عليه الوقار لأن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء يقال لها العقاب) إلى أن قال: (والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك بعض الأحاديث) (النهاية في الفتن والملاحم) الدرر السنية

الأدلَّة من السنة على ظهوره:

تكون الأرض ممتلئه جوراً وظلما فيملؤها عدلاً وقسطاً، فتخرج الأرض خيراتها وتنزل السماء بركاتها، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُمْلَأَ الْأَرْضُ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَعُدْوَانًا، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلَؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا) صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الألباني في "الصحيحة" (40/4

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَخْرُجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا (أي تسوية بين الناس)، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا) (يَعْنِي حِجَجًا) صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في "الصحيحة" (711).

قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (يَكونُ في آخِرِ أُمَّتي خَلِيفَةٌ يَحْثِي المالَ حَثْيًا، لا يَعُدُّهُ عَدَدًا)صحيح مسلم

"يَكونُ في آخِرِ أمَّتي خَليفةٌ يَحْثي المالَ حثيًا"، و"الحَثْو": ما أُخذَ بالكفِّ مَبسوطَةً، وقيلَ: هيَ كالحَفْنَةِ – وهيَ ما يَملأُ الكفَّينِ، وقولُه: "لا يَعدُّه عَددًا"، أي: لكَثرةِ الأَموالِ والغَنائمِ والفُتوحاتِ. الدرر السنية

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أُبشِّرُكم بالمهْديِّ، يُبعَثُ في أُمَّتي على اختِلافٍ منَ النَّاسِ وزَلازِلَ، فيَملأُ الأرضَ قِسطًا وعَدلًا، كما مُلِئَتْ جَوْرًا وظُلمًا، يَرْضى عنه ساكنُ السَّماءِ، وساكنُ الأرضِ، يَقسِمُ المالَ صِحاحًا"، فقال له رجُلٌ: ما صِحاحًا؟ قال: "بالسَّويَّةِ بيْنَ النَّاسِ"، قال: "ويَملأُ اللهُ قُلوبَ أُمَّةِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ غِنًى، ويَسَعُهم عَدلُه، حتى يأمُرَ مُناديًا فيُنادي فيقولُ: مَن له في مالٍ حاجةٌ؟ فما يقومُ منَ الناسِ إلَّا رجُلٌ: فيقولُ: أنا، فيقولُ: ائْتِ السَّدَّانَ –يَعْني الخازنَ–فقُلْ له: إنَّ المهْديَّ يأمُرُكَ أنْ تُعْطيَني مالًا، فيقولُ له: احْثُ حتى إذا جعَله في حِجْرِه وأَبرَزه نَدِمَ، فيقولُ: كُنْتُ أَجشَعَ أُمَّةِ محمدٍ نفْسًا، أو عَجَز عنِّي ما وَسِعهم؟ قال: فيرُدُّه فلا يَقبَلُ منه، فيُقالُ له: إنَّا لا نأخُذُ شيئًا أَعطَيْناه، فيكونُ كذلك سَبعَ سِنينَ –أو ثَمانِ سِنينَ، أو تِسعَ سِنينَ– ثُم لا خَيرَ في العيشِ بعدَه –أو قال: ثُم لا خَيرَ في الحياة بعدَه."–(1) "مسند الإمام أحمد" (37/3– مع منتخب الكنز). وانظر: "عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر" (ص177) للشيخ عبد المحسن العباد.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المهديُّ منَّا أَهلَ البيتِ، يصلحُهُ اللَّهُ في ليلةٍ) صحيح ابن ماجه

يصلحه الله في ليلة:

❶قال بعضهم: معناه يصلحه بالخلافة، ويهيئه لها، يعني: لا يكون من قبل صالحًا للخلافة، فيصلحه للخلافة، ويرفع قدره في ليلة، أو في ساعة واحدة من الليل حتى يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها، كما قال القاري رحمه الله. [مرقاة المفاتيح: 452/15].

📃وليس معنى " يصلحه الله في ليلة أنه كان ضالاً عاصياً فيهديه الله في ليلة ويصبح يقود الناس، لأن المهدي يقود الناس بعلم شرعي مؤصل فهو يحكم بينهم ويفصل خصوماتهم، ويقودهم في القتال وهذا العلم لا يجتمع في ليلة إلا أن يكون وحياً والوحي للأنبياء فقط وهو ليس نبياً. كتاب نهاية العالم

❷: أن يكون متلبسًا ببعض النقائص، فيصلحه الله، ويتوب عليه، وقد قرر ابن كثير رحمه الله هذا المعنى، فقال في قوله: يصلحه الله في ليلة، قال: "أي يتوب عليه، ويوفقه، ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك". [النهاية في الفتن والملاحم: 38/1].

✉يعني: ممكن المهدي هذا يكون رجل عادي ليس رجلاً صالحًا متدينًا، فيهديه الله في ليلة فيقذف في قلبه الهداية، ولذلك يسمى المهدي؛ لأن الله هداه، ولا يستغرب صلاح رجل في ليلة، فإن سحرة فرعون كانوا في أول النهار كفرة أشرارًا، فلما ألقى موسى العصا، وإذا هي تلقف ما يأفكون ألقي السحرة ساجدين، فماتوا في آخر النهار شهداء أبرار، كانوا كفرة فجارًا وصاروا شهداء أبرارًا في نفس اليوم.

⇦يصلحه الله في ليلة، وإذا أراد الله أن يهدي رجلاً فلن تجد من يضله.

❸لعل المراد بذلك: أن الله يصلحه للخلافة أي يهيئه لها ويوفقه ويلهمه ويرشده، ويعطيه من صفات القيادة والحكمة ما لم يكن عنده من قبل.

وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يَعُوذُ عائِذٌ بالبَيْتِ، فيُبْعَثُ إلَيْهِ بَعْثٌ، فإذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ خُسِفَ بهِمْ فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، فَكيفَ بمَن كانَ كارِهًا؟ قالَ: يُخْسَفُ به معهُمْ، ولَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَومَ القِيامَةِ علَى نِيَّتِهِ) صحيح مسلم

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (سَيَعُوذُ بهذا البَيْتِ، يَعْنِي الكَعْبَةَ، قَوْمٌ ليسَتْ لهمْ مَنَعَةٌ، ولا عَدَدٌ ولا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إليهِم جَيْشٌ، حتَّى إذا كانُوا ببَيْداءَ مِنَ الأرْضِ خُسِفَ بهِمْ) صحيح مسلم

قَالَتْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: عَبَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهِ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ صَنَعْتَ شَيْئًا فِي مَنَامِكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ ، فَقَالَ : الْعَجَبُ إِنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ يَجْمَعُ النَّاسَ ، قَالَ : نَعَمْ ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا ، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى ، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ)صحيح مسلم

الْمُسْتَبْصِرُ :(فَهُوَ الْمُسْتَبِينُ لِذَلِكَ الْقَاصِدُ لَهُ عَمْدًا) الْمَجْبُورُ :(فَهُوَ الْمُكْرَهُ) ابْنُ السَّبِيلِ (فَالْمُرَادُ بِهِ سَالِكُ الطَّرِيقِ مَعَهُمْ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ). وَيَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا: (أَيْ يَقَعُ الْهَلَاكُ فِي الدُّنْيَا عَلَى جَمِيعِهِمْ). يَصْدُرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَصَادِرَ شَتَّى: (أَيْ يُبْعَثُونَ مُخْتَلِفِينَ عَلَى قَدْرِ نِيَّاتِهِمْ، فَيُجَازَوْنَ بِحَسَبِهَا).شرح النووي على مسلم

في هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه في آخِرِ الزَّمانِ يَغْزو قومٌ الكَعْبَةَ، حتَّى إذا كانَ الجيشُ في بَيْداءَ مِن الأرضِ، أي: بأرْضٍ مُتَّسعةٍ مَلْسَاءَ لا شَيءَ بِها، خَسَفَ اللهُ الأرضَ مِن تَحتِهم مِن أوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ، فَعمَّهُم كلَّهُم، مِن الجَيْشِ، أو مِمَّن يَبيعُ ويَشتَري معهم، فَتَساءلتْ عائشةُ رضي الله عنها: كيفَ يَعُمُّ العِقابُ مَن لَمْ يَنوِ غَزْوَ الكَعبةِ، ولا التَّعرُّضَ لها، ومَن أُكرِهَ على الخُروجِ؟ فبَيَّن صلَّى الله عليه وسلَّمَ أنَّ الخَسْفَ يَعُمُّهم، ثمَّ يُحاسَبونَ يومَ القِيامةِ على نِيَّاتِهم. الدرر السنية

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ:

❶ التَّبَاعُدُ مِنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ، وَمُجَالَسَةِ الْبُغَاةِ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْمُبْطِلِينَ ; لِئَلَّا يَنَالَهُ مَا يُعَاقَبُونَ بِهِ.

❷وَفِيهِ أَنَّ مَنْ كَثَّرَ سَوَادَ قَوْمٍ جَرَى عَلَيْهِ حُكْمُهُمْ فِي ظَاهِرِ عُقُوبَاتِ الدُّنْيَا. شرح النووى على مسلم

ففي هذه الروايات الثلاث عن أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن –جميعا، إشارة صريحة للعائذ بالبيت وأنه من قريش، وأنه يؤيد بنصر الله، فيهلك الله أعداءه بالخسف. الغفيلي أشراط الساعة
عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَيؤمَّنَّ هذا البَيتَ جَيشٌ يغزونَهُ، حتَّى إذا كانوا ببَيداءَ منَ الأرضِ، خُسِفَ بأوسطِهِم، فيُنادي أوَّلُهُم وآخرُهُم، فيُخسَفُ بِهِم جميعًا، ولا ينجو إلَّا الشَّريدُ الَّذي يُخبِرُ عنهُم) صحيح النسائي

لَيَؤُمَّنَّ هذا البيتَ"، أي: سيَتَّجِهُ إلى الكعبةِ ويَقصِدُه "جيشٌ يَغْزونه"، أي: يأتي هذا الجيشُ لِيَهدِمَ الكَعبةَ، ولا يَنْجو إلَّا الشَّريدُ الَّذي يُخبِرُ عنهم"، والشَّريدُ هو الطَّريدُ الَّذي ليس له مأوًى، والمرادُ هنا: مَن نَجا مِن الخَسْفِ، فيُخبِرُ عن تِلك الحادثةِ الَّتي حصَلَت ورَآها. الدرر السنية

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يبايَعُ لِرَجلٍ بينَ الرُّكنِ والمقامِ، ولن يَستَحلَّ البيتَ إلَّا أَهْلُهُ، فإذا استحلُّوهُ، فلا تسألْ عن هلَكَةِ العرَبِ؟ ثمَّ تأتي الحبَشةُ فيُخرِّبونَهُ خرابًا لا يُعمَرُ بعدَهُ أبدًا، وَهُمُ الَّذينَ يستخرِجونَ كنزَهُ) أخرجه أحمد

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "يُبايَعُ لرَجُلٍ"، أي: يُبايَعُ له بالخِلافَةِ، وقيل: إنَّ هذا

الرَّجُلَ هو المهديُّ الذي سيَخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ، "بين الرُّكنِ والمقامِ"، والرُّكنُ هو الحَجَرُ الأسوَدُ، والمقامُ هو مَقامُ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، "ولن يَستَحِلَّ البَيتَ إلَّا أهْلُه"، أي: لما يُبايَعُ لهذا الرَّجُلِ بالخِلافَةِ، فإنَّ المسلِمينَ سوف يَبعَثون إليه جَيشًا؛ لقِتالِه هو ومَن معه؛ فيكونوا بذلك قد استَحَلُّوا البَيتَ، "فإذا استَحَلُّوه، فلا تَسأَلْ عن هَلَكةِ العَرَبِ" عِقابًا لهم على استِحلالِهم لِحُرمَةِ البَيتِ. الدرر السنية

✉ومن مجمل الروايات السابقة يتبين لنا أن المهدي رجل صالح يخرج في آخر الزمان، ويأوي إلى مكة هاربا من المدينة، فيبايع بين الركن والمقام عند الكعبة المشرفة، فيبعث إليه جيش لقتله فيخسف بهم، وينصره الله ويؤيده فيحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الناس، ويعم الرخاء والنعمة بزمانه، ويلتقي مع نبي الله عيسى عليه السلام فيؤم الأمة وعيسى عليه السلام يصلي خلفه، ويخرج معه ويساعده على قتل الدجال، ويعيش سبعا أو تسع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون.

📃المهدي يصلي إماماً بعيسى عليه وسلام:

ومن الأحداث التي تكون في عهد المهدي أنه يصلي إمامًا بعيسى بن مريم عليه السلام كما قال أبو هريرة τ قال رسول الله ﷺ: (كيفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وإِمَامُكُمْ مِنكُمْ) [رواه البخاري: 3449].

في هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنَّ عيسى ابنَ مريمَ عليه السَّلام سينزِلُ في آخرِ الزَّمانِ، وقول النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: «وإمامُكم منكم»، أي: إنَّه يُصلِّي الجماعةَ مع المسلِمين، ويكونُ الإمامُ مِن أمَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، ولا يكونُ عيسى عليه السَّلام الإمامَ، وهذا تكريمٌ لهذه الأمَّةِ، فيُصلِّي مأمومًا؛ حتَّى يُعلِمَ الجميعَ أنَّه لم ينزِلْ بشرعٍ أو رسالةٍ جديدةٍ، وقيل معنى: «وإمامُكم منكم»، أي: إنَّه يحكُمُ بشريعةِ المسلِمين، فيحكُمُ بالكتابِ والسُّنَّةِ. الدرر السنية

✉والمهدي لم يظهر بعد، والذين ادعوا أنهم المهدي في التاريخ كلهم اتضح أنهم غير صادقين، ادعى المهدوية كثير في عهد بني أمية، وبني العباس، وفي العصر الحاضر، وفي ناس يدعون الأيام هذه، وفي بالإنترنت نبشركم أن المهدي ولد، ففيه الآن خلل، في هوس في أنواع من الانحرافات الحاصلة في هذا الموضوع، فإذًا الذين يقولون: ولد، ما هو الدليل على ولادته؟ المهدي يصلحه الله في ليلة، من الذي يعرف أن هذا الطفل الرضيع أنه سيكبر، ثم يصلحه الله في ليلة ليكون المهدي.

✉وقال الشيخ التويجري رحمه الله: ومن ادعى من المفتونين أنه المهدي المنتظر، ولم يخرج الدجال في زمانه، فإنه دجال، ومن ادعى أنه المسيح بن مريم، ولم يكن الدجال قد خرج قبله؛ فإنه دجال كذاب.

✉قال الشيخ عبد المحسن العباد: المهدي عند أهل السنة والجماعة لا يعدو أن يكون إمامًا من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل، ويطبقون شريعة الإسلام، يولد في آخر الزمان، ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم من السماء في زمانه، وهو غير معصوم، نعم سيكون له إنجازات عظيمة، ويملأ الأرض عدلا لكنه ليس له مثل معجزات الأنبياء، ليس رجلاً معصومًا.

✉ **قال الشيخ محمد صالح المنجد:** وهناك قضية يجب أن نذكر بها أنفسنا، وهي الإيمان بالغيب، أول صفة ذكرها الله للمؤمنين في سورة البقرة: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: 3] فالمؤمن لما يسمع الآيات والأحاديث، فإنه يقول: إنها حق على الحقيقة، وستقع كما أخبر الصادق المصدوق.

📝كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقول للصحابة، وهم يعذبون في مكة، وقتل، وسجن، وتشريد، وتعذيب، يقول: (واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ) [رواه البخاري: 3852].

✉هناك ناس يستنكرون، وناس يستبعدون، وناس يستغربون، وناس يستعجلون، فيجب أن يكون إيماننا بالنصوص حقًا على الحقيقة، وأنها ستقع، وليست القضية هي إبر مخدرات، لأن البعض الآن في عهد الذل والمحنة يقول: نسلي أنفسنا بهذه النصوص، ونسكت، وننتظر عيسى عليه السلام ننتظر المهدي.

📝فنقول: يجب أن نقوم بنصرة الدين، يعني إذا نحن عشنا هكذا هامشيين في نصرة الدين، ومتنا كيف سيكون حسابنا؟ (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) [محمد: 38].

📝فالعاجلة ستمضي التاريخ سيمضي بنا أو بغيرنا الدين منصور بلا شك، وبلا ريب، لا يمكن القضاء عليه إطلاقًا، فإذًا نذكر أنفسنا ونحن نستمع إلى النصوص أن هذه الأحداث ستقع، عيسى سينزل من السماء، والمهدي، أشياء عجيبة فعلاً، لكن يجب أن نصدق بها.

📝ينزل ابن مريم وإمامكم منكم ، يحكم بالقرآن عيسى لا بالإنجيل، وينزل عيسى وإمام المسلمين من هذه الأمة، وسيصلي خلفه.

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: وذكر الحديث، وفيه: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فيَقولُ أمِيرُهُمْ: تَعالَ صَلِّ لَنا، فيَقولُ: لا، إنَّ بَعْضَكُمْ علَى بَعْضٍ أُمَراءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هذِه الأُمَّةَ. [رواه مسلم: 156].

⇦إنَّ أئِمَّتَكُمْ مِنْكُمْ يؤُمُّ المسْلِمُ أَخَاهُ المسلمَ، وَهَذا مِنْ تكريمِ اللهِ لأُمَّةِ الإسلامِ.

✉وقيلَ: إنَّ ذلكَ لبَيانِ أنَّ دِينَ الإسلامِ الذي جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ لا يُنْسَخُ إلى قيامِ السَّاعةِ، وأنَّ تَرْكَ عِيسى عليهِ السلامُ إمامةَ المسلِمينَ في الصَّلاةِ مَعَ كوْنِهِ نَبِيًّا؛ لِئَلَّا يُظَنَّ أنَّ شَريعةَ الإسلامِ قدْ نُسِخَتْ. الدرر السنية

✉وروى ابن ماجه عن أبي أمامة قال: "خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال، قال: وتنفي الخبث – يعني المدينة–منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم: يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبي العكري: يا رسول الله! فأين العرب يومئذ؟" –عندما يخرج الدجال–قال: هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس" رواه ابن ماجه، وهو حديث حسن. [رواه ابن ماجه: 4077، وصححه الألباني صحيح الجامع: 7875].

قال الشيخ المنجد: في الحديث معلومة مهمة أنه عند ظهور المهدي، وعيسى، والدجال، والدجال سيظهر قبل عيسى عليه السلام، وسيأتي المدينة، ولا يستطيع دخول المدينة، ويخرج المنافقون، تتخلص المدينة من خبثها، وذلك يوم الخلاص، سألت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ يعني: لما سمعت الدجال، وحصار المدينة، وتسلط الدجال، تقول أين القبائل العربية؟ أين المقاتلين العرب؟ فقال ﷺ جوابًا على سؤال فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس، أكثرهم سيكونون في بيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، والمقصود به المهدي.

عن أبي أمامة الباهليτ قال رسول الله ﷺ:(وإمامُهم رجلٌ صالحٌ، فبَيْنَما إمامُهم قد تَقَدَّم يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إذ نزل عليهم عيسى ابنُ مريمَ الصُّبْحَ، فرجع ذلك الإمامُ يَنْكُصُ يَمْشِي القَهْقَرَى ليتقدمَ عيسى، فيضعُ عيسى يدَه بين كَتِفَيْهِ، ثم يقولُ له: تَقَدَّمْ فَصَلِّ؛ فإنها لك أُقِيمَتْ، فيُصَلِّي بهم إمامُهم) حديث صحيح [رواه ابن ماجه: 4077، وصححه الألباني صحيح الجامع: 7875].

فإذًا قوله: رجل صالح هو المهدي. ينكص لما ينزل عيسى الإمام يرجع للخلف تواضعًا لعيسى يرجع ليصلي عيسى، يرجع إلى الوراء القهقرى.

⇦فهذه الأحاديث صريحة في أن عيسى يصلي خلف إمام المسلمين بعدما ينزل عيسى في آخر الزمان.

✉في تعيين الإمام الصالح بأنه هو نفسه المهدي، وقد بين جمع من أئمة العلم والهدى أنه يجب حمل اللفظ المطلق الوارد في الصحيحين على المقيد في خارجهما، وأن هذا الإمام الذي يصلي بالمسيح هو المهدي، جزم بذلك ابن الجوزي، والحافظ ابن حجر، والسيوطي، وصديق حسن خان، والألباني، وغيرهم. [السلسلة الصحيحة: 1529].

🗐انقسم الناس في أمر المهدي إلى طرفين ووسط: بالرغم من ورد النصوص الصحيحة بشأن المهدي: فهناك المنكر لظهور المهدي، وهناك المغالي فيه، وهناك من يقف مع النصوص الصحيحة الواردة بشأنه ولا يتجاوزها وهذا المذهب الوسط: فهو معتقد أهل السنة والجماعة الذين يثبتون خروج المهدي على ما دلت عليه النصوص الثابتة التي ذكر فيها اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته وأنه خليفة راشد ومصلح يظهر في آخر الزمان يؤيده الله ويصلح به العباد والبلاد.

اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

✉ولا يزال في عصرنا الحاضر من يظهر بين الفينة والفينة يدعي أنه المهدي، ليغرر بدهماء الناس وعامتهم ويستغل هذه الشخصية لمطامعه الخاصة، لكن الله يُظهر كذبهم ويفضح باطلهم، ولا نعجب، فقد ادعى قوم النبوة وافتروا على الله الكذب،﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾[الأنعام:93].

✉والواجب عدم الخوض في أمر المهدي بالتوقعات والمنامات، ونكتفي بما وردت به الأحاديث الصحيحة، ونوقن بأن علامته ستكون ظاهرة في وقتها؛ فهي من علامات الساعة وستكون له الولاية؛ وسيكون له النصر، وسيقيم العدل، ويعمُّ الخير.

✉والحديث عن ظهور المهدي في مستقبل الأمة، وعن دوره الإصلاحي ليس معناه التواكل ولا التقاعس ولا انتظار المخلّص حتى يأتي، فالمهدي له زمانه ورجاله وأسبابه، والأمة مطالبة في كل زمان بالعمل على تحقيق العبودية لله في الأرض والدعوة إلى الله وإصلاح المجتمعات بالحكمة والموعظة الحسنة.

✉إذن في النهاية نختم بالدور المهم الذي سيقوم به المهدي وهو الدور الإصلاحي العظيم لواقع المسلمين والناس، حيث يأتي في زمان يكون فيه الفساد السياسي والاجتماعي والخلقي والغياب الكامل لقيم العدالة في المجتمعات، وتسلط قوى الشر والباطل والعدوان، فيعينه الله تعالى وينصره وييسر له أسباب القوة ما يستطيع به أن يغير الواقع المظلم إلى واقع يرى فيه الناس العدل والحق والأمانة، وانتشار القيم الصحيحة في واقعهم بما يعود على الجميع بالخير والبركات، وهو إصلاح يقوم به المهدي على

منهاج النبوة ويحقق في الناس قيم الكتاب والسنة، ويمكنه الله تعالى في الحكم والإصلاح والدعوة قرابة السبع سنوات، فيسود في عهده الأمان والرخاء وتظهر الاستقامة في الناس، فيجمعون بين الدنيا والدين.الخطباء

المراجع:

❶عبد العزيز بن أحمد الغامدي(الألوكة).

❷أشراط الساعة عبد الله بن يوسف الوابل.

❸ أشراط الساعة الغفيلي.